قاضي طرابلس أحمد القروي حلولو الزليتني(ت898ه /1493م)
حياته وآثاره العلمية

صدام حسين عبد الرازق يونس

عضو هيئة تدريس بمركز البحوث والدراسات الإسلامية –البيضاء- ليبيا
Sabm8170509@gmail.com

ملخص البحث :
القاضي أحمد عبد الرحمن حلولو الزليتني الوامح(ت898ه/1491م)، يتكلم هذا البحث عن عالم جليل من أبناء زليتن الواقعة في الغرب الليبي، حيث نشأ فيها وأخذ تعليمه الأول بها، كما أثبتت الوقائع التاريخية من خلال هذا البحث الذي يقبل التصحيح بالأدلة الدامغة إن وجد.
تناول البحث الحياة بأطوارها (الاقتصادية،والسياسية، والعلمية) في عصر القاضي أحمد كما تكلم عن نسبه ومدى صحة نسبه لمدينة زليتن ودورها في عهد الدولة الحفصية، ونشأة القاضي أحمد حلولو بها، والإشارة إلى غيره من العلماء في عصره الذين نشؤوا في هذه المدينة(بما وجدنا في المصادر التاريخية المتاحة لنا)، وتناول أيضاً مؤلفاته المطبوع منها، والمخطوط الموجود، والمفقود، وشيوخه وزملاءه وتلاميذه، بالإضافة إلى مدى تأثير الهجرات الاندلسية على مدينة زليتن ، وكان الفصل الختامي لهذا البحث، وأما المنهجية المتبعة في التهميش هي: اسم المرجع، واسم المؤلف، والصفحة أو، الجزء، والصفحة، في أسفل الصفحة تجد الهوامش بتسلسل.
الكلمات المفتاحية: حلولو، زليتن، الحياة العلمية، الدولة الحفصية

المقدمـــــة:
إن التاريخ العلمي لأى امة امتداد لوقعها وتطلعاتها، والعلماء لأى شعب من الشعوب سراج حضارة ، وأساس تقدمها ورفعتها ،ومن أسباب ضياع الهوية العلمية طمس العلماء ، أو نسيانهم ،فيسهل على الغير نسبتهم إليه والاستيلاء على ارثهم العلمي والفكري لهم؛ وقد حصل ذلك على مر العصور.

موضوع البحث، وأهميتها
تناولت هذه الدراسة ؛عالم من علماء البلاد الليبية وابن من أبناء مدينة زليتن ؛أحمد عبد الرحمن القروي الزليتني (حلولو)؛تحت عنوان (قاضي طرابلس أحمد القروي حلولو الزليتني حياته وآثاره العلمية ت 898ه /1493م).
وتكمن أهمية الموضوع في دراسة الحياة بأطوارها السياسية ،والعلمية ، والاقتصادية في ليبيا عموما ،ومدينة زليتن خصوصا ،وإبراز الحالة العلمية التي كانت المدينة عليها في تلك الحقبة حتى تكون برهان على نشأته بها وصحة نسبته إليها .

إشكالية الدراسة
تناولت كتب التراجم القاضي أحمد القروي (حلولو) كعلم من أعلام البلاد الليبية ،وأخرى من أعلام البلاد التونسية؛ تولى القضاء بطرابلس، ومشيخة مدرسة أبي قطاية بتونس ، دون التعريج على نشأته الاولى بمدينة زليتن الليبية، وأخذه مبادئ العلم بها ،مع وجود نهضة علمية بالمدينة في تلك الحقبة ،ووجود حالات مشابهة لعلماء من المدينة كانت دروسهم الاولية بها، ثم الهجرة إلى البلاد المجاورة لزيادة رصيدهم العلمي .
فهل كانت الظروف السياسية والاقتصادية والعلمية للبلاد الليبية عموما ،ومدينة زليتن خصوصا في تلك الحقبة تسمح بظهور مثل هذا العالم؟

وللإجابة عن هذا تقرر البحث في الآتي:
- الحياة في عصره
- نشاطاته العلمية
- تأثير المستجدات على زليتن (هجرات الاندلسيين ،والانفتاح العلمي)

منهج البحث
سلكت في هذه الدراسة المنهج القائم على التحليل ، والاستنتاج من خلال ما يأتي:
1- استقراء النصوص التاريخية

2- تحليل بعض الوقائع والمعطيات
3- المقارنة بين النصوص التاريخية

الدراسات السابقة:

في حدود ما أمكنني الاطلاع عليه من المصادر الفقهية،والتاريخية لم أجد من أفرد هذا الموضوع بالدراسة المتخصصة الشمولية كما هو مبين في محاور خطة الدراسة ، مع وجود بعض كتبه محقق قام الباحثين بمجهود كبير جداً؛ جزاهم الله خير الجزاء، وسنأتي على ذكرها في مؤلفاته المطبوعة.

(توطئة) القضاء في ليبيا إلى نهاية عهد الدولة الحفصية:

قبل دخول الإسلام إلى ليبيا لم تكن الحالة القضائية قائمة على شريعة محددة منظمة، بل كانت تتبع تقاليد وعادات القبائل، وكان قضاة القبائل عقلاءها، وكبارها، وهم أيضاً حكامها وأمراءها[1].

، وكانت البلاد الليبية قبل دخول الإسلام خاضعة في الغرب للفينيقيين وخلفهم الرومان، وفي الشرق الإغريق وخلفهم الرومان أيضاً[2].

وفي عهد الرومان الحاكم الروماني ينتهز الفرصة، لجمع ما يمكن جمعه من المال ولو وقع الحيف على الرعية[3]، إن جشع الحكام يعطى الحقيقة، وهي اختلال القضاء، والعدالة، وبعد الفتح الإسلامي لليبيا في عام (23ه/643م)، تأثرت البلاد الليبية بما حصل للدولة الإسلامية من اضطرابات أدت إلى استقرار الخلافة عند بني أمية[4].

وفي هذا العهد قسمت الدولة الإسلامية إلى خمس ولايات حيث أصبحت إفريقية الولاية الخامسة وتشمل البلدان التي من خليج سرت غرباً إلى الأندلس، وأصبحت هذه الولاية لها عاصمة وهي القيروان وتتبعها سياسياً وفكرياً وثقافياً[5].

وأصبح تعيين القضاة من الدولة الإسلامية في الشرق خلال عهد الدولتين الأموية ،والعباسية نهجا متبعا في كل الأمصار الإسلامية بما فيها ليبيا، وقد تولى القضاء بعض التابعين منهم عبدالرحمن التنوخي[6]

وبعد ظهور المذاهب الفقهية كان مذهب ليبيا هو مذهب أبي حنيفة إلى أن ذهب بعض الليبيون إلى الحجار، وتتلمذ على يد الإمام مالك ،ونشر المذهب المالكي في البلاد الليبية[7]، وأصبح القضاة في طرابلس من فقهاء المذهب المالكي، حتى جاء العبيدون، وأصبح اختيار القضاة وفقاً للمذهب الشيعي[2] إلى بداية العهد الموحدي، وبعده الحفصي؛ فقد عاد القضاء واختيار القضاة من علماء المذهب المالكي، والذي يتدرج تحته علماؤه، منهم القاضي أحمد حلولو الزليتني قاضي طرابلس الغرب.

المطلب الأول

الحياة في عصره (توطنة)زليتن في عهد الدولة الحفصية

يذكر حسن الوزان أن مملكة تلمسان فيها أقاليم الجبال، تنس،و الجزائر،و مملكة تونس، وتخضع لها أقاليم بجاية،و قسنطينة،و طرابلس[8].

وتحت طرابلس منذ القدم (لمبورياته) التي وجدت منذ عصر القرطاجيين، أي عصور ما قبل مجيء الفتح العربي الإسلامي، وقد يكون قبل ميلاد المسيح -عليه السلام- وكان لهذه المناطق(الأمبوريات) حياتها الخاصة المستقلة بشؤونها الداخلية، وهي تسير على حكم وراثي[9].

1 القضاء والقضاة في برقة وطرابلس، الصيد أبو ديب، 24.

2 مرقس الإنجيلي، ذاود حلاق، 19؛ برقة قديماً وحديثاً، السنوسي الغزالي، 100إلى107.

3 برقة قديماً وحديثاً، السنوسي الغزالي، 111.

4 تاريخ ليبيا الإسلامي، عبد اللطيف البرغوثي، 69.

5 نفس المرجع، 69.

6 عبد الرحمن بن أبي الجهم التنوخي (ت113ه/732م) ،(طبقات عماء إفريقيا، محمد بن تميم، 95)

7 (أ.ه) بتصرف دور في نشر المذهب المالكي،حمزة بوفارس،أعمال مؤتمر الامام مالك،2013م

2 القضاء والقضاة في برقة وطرابلس،الصيد أبو ديب،85

8 وصف إفريقيا، حسن الوزان، 16/1.

9 طرابلس حكاية مدينة، خليفة التليسي، 11.

وإحدى هذه الأمبوريات مدينة زليتن المقتبس اسمها من القبائل التي كانت تعيش فيها[10].
ولم تشير إليها المصادر إلا في أوائل القرن السادس عشر الميلادي، ولكنها بدأت تنمو حسب الاحتمال في بداية العهد الحفصي[11]؛ ويرجع ذلك إلى أغلب المصادر التي تتكلم عن البلدان الليبية في تلك الفترة هي كتب وحكايات الرحالة، وكان جل الرحالة من المغرب ،أو الأندلس ،لا يمرون براً عبر المدن الليبية، وكانوا يفضلون السفر عبر ميناء طرابلس كما قام بذلك الرحالة العالم(علي بن محمد القلصادي الأندلسي ت891ه/1487م)[12] بسبب خراب مدن برقة وقراها، وتحولها إلى بوادي أثناء مرور بني هلال، حيث امتهن سكان ليبيا في الشريط الممتد من سرت شرقاً حتى مصر ،النهب، وقطع الطريق بعد خراب العمران، والحضارة[13].
ولدينا بعض الملاحظات على ما سبق من الكلام ،من حيث أن زليتن لم تذكرها الأحداث، والمصادر إلا في أوائل القرن السادس عشر الميلادي، وإن ازدهار الحياة فيها كان في نهاية العهد الحفصي، وكان بناء زاوية الشيخ عبد السلام خلال حياته في القرن التاسع الهجري[14]، وكان الشيخ عالماً تلقى العلم فيها، فكيف يكون الازدهار مرتبط ببناء الزاوية ومؤسس الزاوية تلقى العلم في زليتن، ومنها خرج إلى مصر[15].
وإن المغامر قرقواش[16] قد أخذ العهد من حلفائه ثم ذهبوا إلى مدينة زليتن عام(575ه/1179م)، وهذا دليل على وجود المدينة قبل القرن السادس عشر الميلادي[17]، وتمثل المدينة نقطة من أخر نقاط الدولة الحفصية حيث وصل السلطان عثمان بن أبي منصور(ت892ه/1488م)، تاورغاء[18] الواقعة شرق مدينة زليتن في طلب الضرائب ومهادنة السكان[19].

أولاً- الحياة السياسية:

كانت سيطرة الدولة الحفصية على دويلات ساحل الشمال الإفريقي مدة ثلاثة قرون[20]، ابتداءً من استقلال بني حفص المصامدة عن الدولة الموحدية في عام (634ه /-1236م) إلى نهاية القرن(900ه /- 1495م)[21].
وما يهمنا في هذه الدراسة ماحدث في عام(727ه/1230م) نهاية القرن الثامن الهجري إلى (898ه/1569م) القرن التاسع الهجري؛ حيث تركزت حياة القاضي أحمد حلولو الزليتني.
شهدت بلدان المغرب الأدنى خلال القرنين الثامن، والتاسع الهجريين في ظل حكم الدولة الحفصية، التي اتخذت من تونس عاصمةً لها أوضاعاً سياسية تميزت بالاستقرار، والازدهار تارةً، والاضطراب تارةً أخرى[22].
وكان نصيب البلاد الليبية من هذه الاضطرابات هو استيلاء النصاري على طرابلس(وفقاً للتقسيم في عهد الدولة الحفصية، فإن طرابلس إمارة تخضع لها المدن الليبية حتى تاورغاء شرقاً) وكان هذا الاحتلال في العاشر من ربيع الأول في عام

10 تاريخ إفريقيا في العهد الحفصي، روبار برنشفيك، 353/1.

11 نفس المرجع، 353/1.

12 له رحلة القلصادي التي تكلم فيها عن البلدان التي زارها من الأندلس حتى مكة، ولكنه سافر بحراً من طرابلس إلى مصر، (رحلة القلصادي، تحقيق: محمد أبو الأجفان)

13 تاريخ ليبيا، إحسان عباس، 122.

14 النشاط العقائدي في المغرب الإسلامي، جمعة مصطفى، 168.

15 شجرة النور، محمد مخلوف، 461/1.

16 قراقوش(من موالي تقي الدين عمر بن شاه بن نجم الدين الأيوبي) وقد غاضب مولاه في بعض النزاعات وذهب مغاضباً إلى المغرب ولحق عام(568ه/ 1173 م) بفزان وفتحها وخطب فيها لصلاح الدين الأيوبي من أجل توسيع سلطان الدولة الأيوبية(أ.ه) بتصرف،(المنهل العذب، أحمد بك الأنصاري، 134)

17 ليبيا أثناء العهد الموحدي والدولة الحفصية، صالح الصادق، 168.

18 بلد يقع جنوب مصراته 40كم، (معجم البلدان الليبية، الطاهر الزاوي، 45).

19 تاريخ الدولتين، محمد الزركشي، 23إلى27.

20 سكان برقة، هنر يكودي، 15/1.

21 تاريخ الدولتين، محمد الزركشي، 23إلى27.

22 تاريخ المغرب، محمد هادي، 8.

(755ه/1354م)، فقد خدع النصاري أمير البلاد محمد بن ثابت[23] الذي لجأ إلى العرب جنوب طرابلس، وكان خروج النصاري في شعبان من العام نفسه[24].

ونتيجة لهذا البلاء الذي حل بأهل إمارة طرابلس ،تسارع حكام المسلمين إلى إنقاذهم، وفي مقدمتهم أبو العباس أحمد بن مكي[25] حاكم مدينة قابس، الذي استعان بالسلطان أبي عنان المريني[26] (ت759/1353م)، الذي أرسل كل الفدية ،وعقد لابن مكي على طرابلس[27].

ومن هنا يبدو لنا اختلال سلطان الحفصيين على البلاد الليبية.

ومن خلال هذه الفترة بدأ السلطان أبو عنان المريني يهتم بإفريقيا الحفصية حيث يريد استرجاع أملاك والده وخاصة بعد أن ساءت علاقته بالدولة الحفصية، ولقد ساعده على اختراق الدولة الحفصية أبو عباس بن مكي أمير طرابلس، وبعض قبائل العرب الذين تضايقوا من سياسة الحاجب بن تافراجين المسير الحقيقي للدولة الحفصية[28].

وبعد وفاة ابن المكي في عام(766ه/1364م) تولى ابنه عبد الرحمن[29] الحكم من بعده وتكفل أمره العلج ظافر ،وذلك لصغر سنه وبعد موت ظافر استبد عبد الرحمن بطرابلس ،وقد ساءت سيرته فيها[30].

ولقد خرج سلطان الدولة الحفصية أبو العباس أحمد (ت746ه/1393م) من تونس يريد إرجاع البلدان التي خرجت عن طاعته بما فيها إقليم طرابلس في عام(871ه/1379م)ولما سمع عبد الرحمن بن مكي بخروج السلطان إليه خرج منها، ومات بعلته بأحد أحياء العرب ،وعاد السلطان أبو العباس أحمد إلى تونس عام(782ه/1380م)[31].

وعقد السلطان بإقليم طرابلس لأبي بكر بن ثابت[32] (ت792/1389م) مقابل الانتظام في دفع الضرائب ،وهذه الضرائب كانت تجلب من مدن أقاليم طرابلس بما فيها زليتن[33].

وقد حصل انقسام ،ومصادمات دموية داخل أسرة بني ثابت فقد اشتد الخلاف بين علي بن عمران[34] وقائد لجيش قاسم بن خلف[35] ،وهذا الأخير نجح في استمالة ولي العهد الطفل الذي خلفه أبو يحي بن ثابت فتحين الفرصة وأبعد علي بن عمران عن طرابلس بحجة جباية الضرائب من مدن الإقليم[36].

حيث أسفر النزاع بين بني ثابت إلى استعانة قاسم بن خلف بالسلطان أبي العباس أحمد الحفصي الذي قام بحصار طرابلس عاماً كاملاً، وخلال هذه الحرب قام حاكم صقلية مارتان الأب بالاستحواذ على جزيرة جربة من حاكم طرابلس، غير أن المتنازعين توصلوا لاتفاق لفك الحصار، وهو دفع مبلغ معين مقابل أن يرحل عنهم السلطان[37].

توفي السلطان أبو العباس في عام (796ه/1434م) ،وولى السلطان أبو فارس عبد العزيز بن أحمد[38]،الحكم ووالدته اسمها جوهرة وهي من عرب المحاميد بليبيا[39]، وقد عاد النزاع من جديد بين بني ثابت، ولكن هذه المرة دخل السلطان

23 محمد بن ثابت، خلف ثابت بن محمد بن ثابت، ولي على طرابلس (ت 750ه/1350م)،(المنهل العذب، أحمد بك الأنصاري، 105)

24 تاريخ الدولتين، محمد الزركشي، 192إلى207.

25 أبو العباس أحمد بن مكي (أمير قابس) تدخل في فدية أهل طرابلس بعد أسرهم من النصاري (ت 750ه/ 1350م)،(المنهل العذب، أحمد بك الأنصاري، 135)

26 أبي عنان فارس بن علي بن يعقوب المريني(ت 758ه/ 1358م)، موسوعة تراجم الأعلام،Google.www.taraajem

6 ليبيا أثناء العهد الموحدي والدولة الحفصية، صالح السباني، 315.

28 (أ.ه) بتصرف، تاريخ الدولتين، محمد الزركشي، 207.

29 عبد الرحمن بن أحمد بن مكي، كان والياً على طرابلس عام (770ه/ 1369 م)،(المنهل العذب، أحمد بك الأنصاري، 135)

30 ليبيا أثناء العهد الموحدي والدولة الحفصية، صالح السباني، 317.

31 تاريخ الدولتين، محمد الزركشي، 225.

32 أبي بكر بن ثابت، لم نقف له على ترجمة.

33 ليبيا أثناء العهد الموحدي والدولة الحفصية، صالح السباني، 319.

34 علي بن عمران بن محمد بن ثابت، استمر والياً على طرابلس حتى (800ه/ 1397 م).

35 قاسم بن خلف، لم نقف له على ترجمة

36 نفس المرجع، 319.

37 نفس المرجع، 319.

38 أبو فارس عبد العزيز أحمد بن محمد بن أبو بكر بن يحيى(ت 837ه/ 1434م)، (تاريخ الدولتين ،محمد الزركشي،240)

طرابلس، وأخضع كل مدن الإقليم له، وقبض على الوالي محمد بن أبي عمران، ونصب على طرابلس الأخوين، وأصبح يحيى بن أبي بكر[40] حاكماً على طرابلس، وأخوه عبد الواحد قائداً للجيش[41].

وفي عام (803ه/1400م) قام السلطان أبو فارس بالقبض على الشخصين اللذين أوصلهما إلى الحكم بعد أن شك في ولائهما، وبعد حصار عسير لمدينة طرابلس تدخل فيه صلحاء البلد برغبة من أهلها، وأُلقي القبض على أسرة ثابت، ثم ولي عليها والي اسمه عبد العزيز من بني حفص[42] (ت823ه/1420م)[43]، ثم عين ابنه، وولي عهده محمد المنصور الذي حكم الإقليم حتى عام(833ه/1429م) وقد تولى القضاء بالدولة الحفصية أبو عبد الله[44] محمد المسراتي[45]، وظلت الدولة الحفصية تحتفظ بإقليم طرابلس، والمدن التي تحته في ظل حكم السلطان أبي فارس الذي حكم لمدة واحد وأربعين عام، ظهر عنصر جديد وهو عنصر الأولياء، والمرابطين وظهور هذا العنصر أثر على الحياة وبدأ الضعف والفتور في الدولة الحفصية، وبدأ التحريض عليه من الأولياء[46].

وبعد وفاة محمد المنصور عقد السلطان أبو فارس لأبي محمد عبد الواحد على أقاليم طرابلس فقدمها وتسلم فيها زمام الأمر، وشمر عن ساعد الجد، والاجتهاد فيما يؤول لاستتباب الراحة وتعميم الأمن في كافة أنحاء الولاية الممتدة من طرابلس إلى تاورغاء[47].

وتوفي السلطان أبو فارس في عام (837ه/1430م) وقبل موته بأشهر قضى على ثورة أبي قطاية[48] الشيخ حكيم المرابط بن أبي صعونة ومن قام بهذه المهمة هو أمير طرابلس أبو محمد بن عبد الواحد[49] وبعث برأسه إلى السلطان قبل وفاته[50].

وبعد موت أبي فارس، تولى حفيده محمد المنتصر، في عام (837ه/1434م) وتوفي في عام(839ه/1436م) وتولى شقيقه عثمان أمر الدولة الحفصية عام(839ه-1436م).

واستمر أبو محمد عبد الواحد[51] والياً على إقليم طرابلس حتى عام(858ه-1453م) ،وفي هذه السنة عقد سلطان الدولة الحفصية عثمان بن محمد لابنه أبي بكر على إقليم طرابلس واستمر، والياً عليها حتى عام(893ه/1488م)[52].

وقد أشار صالح السباني إلى فترة لانفصال التي شهدها إقليم طرابلس من عام (865ه/1460م) وحتى عام (876ه/1471م) وقيام أهالي المنطقة بطرد والي السلطان على الإقليم، ومبايعة قبائل غريان[53] وبني وليد[54] وترهونة[55] ومصراتة[56] ومسلاتة[57] للشيخ سيدي منصور[58] حاكماً لطرابلس، وقيام حرب بين إقليم طرابلس والدولة

39 تاريخ الدولتين، محمد الزركشي، 240.

40 يحيى بن أبي بكر بن محمد بن ثابت، كان والياً على طرابلس إلى أن قبض عليه الأمير أبو فارس عام(803ه/ 1400م) ،(المنهل العذاب،أحمدبيك الانصاري 137).

41 نفس المرجع،136

42 عبد العزيز الحفصي، لم نقف له على ترجمة.

43 (أ.ه) بتصرف ليبيا أثناء العهد الموحدي والدولة الحفصية، صالح السباني، 321.

44 تاريخ الدولتين، محمد الزركشي، 255

45 لم أعثر على ترجمة إلا ما اهتدينا إليه في كتاب جامع الزيتونة(أنه تولى الإمامة والخطابة في عام(856ه/1451م)، الطاهر المعموري، 99.

46 ليبيا أثناء العهد الموحدي والدولة الحفصية، صالح السباني، 321.

47 المنهل العذب، أحمد بيك الأنصاري، 139.

48 أبي قطاية، حكيم المرابط بن أبي صعونة(ت 833ه/1430م)، (تاريخ الدولتين، محمد الزركشي، 255.)

49 محمد عبد الواحد، لم نقف له على ترجمة.

50 تاريخ الدولتين، محمد الزركشي، 255.

51 أبو محمد بن عبد الواحد، كان والياً على طرابلس إلى عام(858ه/ 1454م)، (المنهل العذب، أحمد بيك الأنصاري، 139)

52 نفس المرجع ،139

53 تقع جنوب طرابلس بنحو 14كم وسكانها عرب، (معجم البلدان الليبية، الطاهر الزوي، 244).

54 أو ورفلة أو وادي بني وليد، (نفس المرجع، 356).

55 تقع جنوب طرابلس بنحو 85كم، (نفس المرجع، 81).

الحفصية إلى عقد الصلح(868ه/1463م) وتوفي الشيخ منصور عام(876ه/1471م) وحكم بعده الشيخ يوسف[59] حتى توفي بمرض الطاعون في عام (885ه/1480م) وحكم بعده الشيخ مامي عام في (898ه/1492م)[60].
وقد يكون ذلك صحيحاً، لأن الدولة الحفصية كانت شهدت في نهايتها ضعف كبير جداً مع كثرة الانقسامات الداخلية في العائلة الحفصية، وكثرة الثورات[61].
وكذلك قيام السلطان الحفصي أبي عمرو عثمان عام (856ه/1451م) برحلة يهدن مدن الدولة الحفصية حيث وصل في هذه الرحلة إلى تاورغاء[62]، بيد أنها عادت لسلاطين الدولة الحفصية ، ولم تتكرر بعد هذا العام تزامناً مع انفصال إقليم طرابلس.
إلى هنا نصل إلى نهاية الأحداث السياسية المتعلقة بحياة القاضي أحمد حلولو الزليتني.
ثانياً-الحياة الاقتصادية
كما مر بنا في السابق فإن مدينة زليتن في العهد الحفصي تابعة لمدينة طرابلس، إذ هي إدارة الإقليم الممتد من قابس غرباً إلى تاورغاء شرقاً، وكذلك كان للتأثير السياسي وقع على زليتن، وأيضا كان الجانب الاقتصادي.
أما طرابلس فهي جيدة التربة، وبها سوق كبير، وبها بساتين كثيرة مشجرة بالزيتون، والتين والرمان، ويسقون من الآبار عذبة المياه[63]، وتميز اقتصادياً في عهد الحفصيين بضعف سلطان العائلات النافذة، والمعروفة بالثراء، وقد يصعب تفسير هذه الظاهرة في بلد يقوم على مداخلات الطبقة الغنية[64]، ويبدو أن الجميع تحول إلى التجارة، وكذلك نشاط التجارة البحرية، وقد عرف أيضاً في العهد الحفصي[65] وكان اعتماد الليبيين(سكان إقليم طرابلس)على البحر في رزقهم عن طريق الصيد البحري ،والوارد، والصادر[66]، ولمدينة زليتن ساحل رغم ضآلة حجمة وعدم قدرته على توفير الحماية ولو للمراكب الصغيرة أثناء هيجان البحر، ويمكن الحصول ولو بأسعار معقولة على الأغنام والدجاج والزيت والحبوب إلى جانب الماء العذب[67].
وبما أن حياة سكان إقليم طرابلس كانت تقوم على التجارة البحرية، الصيد، الزراعة فإن زليتن ،وما جاورها من المدن كما ذكرت المصادر التاريخية تتسم بثراء سكانها وخصوبة الأراضي ومدى صلاحيتها للزراعة، فقد وصف الوزاني مسلاتة بالمدينة العامرة، وبها عدد من السكان الأثرياء، وبها عدد كبير من أشجار الزيتون والنخيل[68]، بالإضافة إلى وجود عيون الماء مثل عين كعام التي تبعد عن زليتن بمسافة 14كم غرباً[69].
وتقع من مصراته[70] غرباً زليتن ،وأهلها أغنياء ،ولا يردون أي أتاوة لأحد، ويتعاطون التجارة[71]، وبالإضافة إلى ازدهار الزراعة، والتجارة فإن إقليم طرابلس يعد نقطة وصل لطريق القوافل بين أوروبا وإفريقيا منذ عهد الدولة

56 تبعد 100ميل عن طرابلس غرباً(وصف إفريقيا، حسن الوزاني 111/2)

57 تبعد عن طرابلس 35ميلاً غرباً(نفس المرجع، 111/2)

58 الشيخ منصور، لم نقف له على ترجمة.

59 الشيخ يوسف، لم نقف له على ترجمة.

60 ليبيا أثناء العهد الموحدي والدولة الحفصية، صالح السباني، 325إلى327.

61 تاريخ الدولتين، محمد الزركشي،(255إلي290).

62 نفس المرجع، 287.

63 نفحات النسرين، أحمد الأنصاري، 172.

64 تاريخ ليبيا، إحسان عباس، 196.

65 طرابلس حكاية مدينة، خليفة التليسي، 58.

66 تاريخ ليبيا، إحسان عباس، 196.

67 الساحل الليبي، الهادي بولقمة وسعد خليل، 28.

68 تقع بشرق طرابلس بنحو 35ميل، (وصف إفريقيا،حسن الوزاني 111/2).

69 معجم البلدان الليبية، الطاهر الزاوي، 236.

70 تبعد عن طرابلس 100ميل شرقاً، (وصف إفريقيا، حسن الوزاني، 111/2).

71 نفس المرجع، 111/2 .

الحفصية[72]، ويحمل ذلك الإدريسي في حديثه عن المنطقة الواقعة ما بين مصراتة في الشرق إلى مسلاتة في الغرب ويصفها بمساكن قبيلة حوارة بقوله :"سكنت هذه القبائل المدينة التي كانت عامرة بالأسواق وبغابات النخيل والزيتون"[73].
فمدينة زليتن، وما جاورها عرفت منذ القدم بتوافر سبل الحياة وطرق الارتزاق، ومن المعلوم أن سمو الجانب الاقتصادي لأي مدينة مع الرخاء السياسي يشكل نهضة علمية وعمرانية، وهذا ما سيتضح لنا من خلال البحث والدراسة في الحياة العلمية في الدولة الحفصية على وجه العموم وإقليم طرابلس ومدينة زليتن على وجه الخصوص.

ثالثاً-الحياة العلمية

تميزت الحياة العلمية خلال القرنين الثامن، والتاسع و الرابع والخامس عشر الميلاديين باهتمام السلاطين ورجال السياسة بأهل العلم؛ فقد أولت دول المغرب الثلاث الموحدية الحفصية المدنية عناية كبيرة ببناء مدارس التعليم والعناية بطلبتها، وجمع الكتب وإقامة الخزانات، ووقفها على طلاب العلم[74]، ومن المعلوم أن اهتمام أي دولة بالعلم يخلق شيء من الإقبال على العلم والتعليم في كافة ربوعها.
كما تميزت الحياة العلمية في بلاد المغرب الإسلامي خلال هذه الفترة بحرية تنقل العلماء ،وطلبة العلم بين المدن المغربية طلباً للعلم ،ونشره، كما هو حال القاضي أحمد حلولو حيث أنه انتقل من زليتن إلى طرابلس ،ومنها إلى تونس طلباً للعلم ومعلماً[75]، وقاضياً[76].
وفي عهد الدولة الحفصية كان النشاط العلمي موسعاً يبدأ من المساجد وتقسم إلى قسمين الأول:ـ يبنيها أصحابه للصلاة، وهو منتشرة في الأرياف، والثاني: الجوامع الجامعة والتي تعقد فيها حلقات علمية رفيعة المستوى كما هو الحال في جامع الناقة في طرابلس[77] بالإضافة إلى وجود المدارس في القرن الثامن والتاسع الهجري ،والثالث والرابع عشر الميلاديين[78]، وفي القرن التاسع الهجري، والخامس عشر الميلادي ظهرت مدرسة أخرى ،وهي مدرسة ابن ثابت ولي طرابلس كما سبق التي أقام فيها القلصادي أثناء زيارته لطرابلس عام (851ه/1447م)[79].
ولإقامة القلصادي في ليبيا، وطرابلس خاصةً دلالة أخرى على أن المدينة كانت في ذروة نشاطها العلمي؛ فالقلصادي[80] خرج من الأندلس وأقام، بتلمسان[81]، وتونس وطرابلس ينهل من العلم عالماً ومتعلماً حتى رحل من طرابلس إلى الإسكندرية[82].
وقد ساعدت على بروز ظاهرة المدارس في العهد الحفصي مدارس العلم التي كثرت، وكان نظامها قائماً على تكوين نخبة من الطلبة تسكن بالمدرسة، وتدرس العلوم على كبار أساتذتها[83].
ومن مميزات الحياة الفكرية في العهد الحفصي انتشار التصوف واحتلاله مكانة في المجتمع، فقد أسس المتصوفة زوايا في المناطق الجبلية والريفية واستقروا فيها بعائلاتهم، وتلاميذهم، وأتباعهم، وصارت مراكز ثقل تشد إليها المسافرون[84].
وكان نصيب زليتن من هذه الزوايا كبير جداً، ففي مدينة مسلاته القريبة وجدت بها زاوية للشيخ يوسف الجعراني[85] وكان يعيش فيها عام (820ه/1417م)، وكذلك زاوية الشيخ عبدالله الدوكالي[86] بمدينة مسلاتة التي وفد إليها الشيخ عبد

72 ليبيا أثناء العهد الموحدي، صالح السباني، 414.

73 نزهة المشتاق، الإدريسي، 308

74 المعاهد والمؤسسات العلمية في العالم الإسلامي، نجاح القابسي، مجلة المؤرخ العربي، العدد19، 1981م، 195.

75 الرحلة في الأدب المغربي، فاطمة خليل، 148.

76 المنهل العذب، أحمد بيك الأنصاري، 129.

77 ليبيا أثناء العهد الموحدي والدولة الحفصية، صالح السباني، 545.

78 ليبيا أثناء العهد الموحدي والدولة الحفصية، صالح السباني، 553.

79 رحلة القلصادي، القلصادي، 120.

80 أبو الحسن علي بن محمد القلصادي(ت891ه/1487م)، رحال عالم معتني بلقاء العلماء، له مؤلفات عديدة منها:- قانون الحساب، شرح رجز مالك، بغية المبتدي وغنية المنتهي، التي كان لنا الحظ في تحقيقها، (شجرة النور، محمد مخلوف 371/1).

81 بالمغرب بينها وبين وهران مرحلة، (معجم البلدان، ياقوت الحموي، 44/2).

82 رحلة القلصادي، القلصادي، 120

83 جامع الزيتونة، الطاهر المعموري، 10.

84 نفس المرجع ، 12.

السلام الأسمر في صغيره؛ مع العلم أنه من مواليد(880ه/1477م)، وقد درس الشيخ عبد السلام بعد حفظه للقرآن في سن صغيرة جداً بعض العربية ،والفقه في زليتن.
وكانت موجودة في العهد الحفصي شكل أخر من الدراسة ،وهوتلقي العلم في الحلقات العلمية، وكانت تعقد في المساجد ،أو المدارس، أو منازل العلماء أحياناً، ويدور أغلبها حول الفقه، وبعض المسائل الفقهية الشائكة[87].
وقد برز من خلال هذه الحلقات عالم من مدينة زليتن وهو محمد بن أحمد الزليتني، قرأ على الشيخ عبد الله فندار ثم ارتحل إلى تونس فقرأ بها على الشيخ بن عرفة[88] حتى توفي في عام(ت808ه/1405م)[89].
كذلك الشيخ أحمد بن زعدون الزليتني(ت882ه/1476م) وهو من أبناء مدينة زليتن[90].
ومما يبرر هجرة العلماء من زليتن، وما جاورها من البلدان إلى طرابلس وجود الجامع الأعظم الذي كان بمثابة جامعة تخرج منها العلماء، ونال أساتذتها شهرة علمية واسعة في أقطار المغرب الكبير خاصةً في تونس[91].
ومما سبق يتضح لنا انتشار العلم في مدينة زليتن، ومسلاتة القريبة, وتلقى بعض العلماء دروسهم الأولية في الزوايا وحلقات العلم, ثم هاجروا إلى طرابلس ،وتونس؛ نظراً لكثرة العلم والعلماء هناك, وهذا ما صار عليه القاضي أحمد بن حلولو الزليتني؛ فالظن الأقرب إلى الصواب قال ذلك إضافة إلى التزامن التاريخي مع هذه الحركة العلمية وهجرة العلماء.

المطلب الثاني

- **القاضي أحمد الزليتني**

(توطئة)صحة نسبته لمدينة زليتن
في نسبة الشيخ القاضي أحمد بن عبد الرحمن بن موسى عبد الحق المعروف(حلولو) الزليتني الوامح, قال بهذا المؤرخ أحمد بيك الأنصاري[92]، وقال أيضاً بهذه النسبة محمد مخلوف بذكر الزليتني بدل الزليطني[93] ،وقال بذلك أيضاً أحمد بابا التنبكتي بالمطابقة مع ما قاله محمد مخلوف لفظاً, ومن المعلوم أن محمد مخلوف أخذ عن أحمد بابا التنبكتي من مؤلفاته، التي ترجمت لعلماء المالكية[94]، وقال ناصر الدين الشريف الزليطني ولد ببلدة زليطن[95].
وأقرب هؤلاء المؤرخين من حياة القاضي أحمد هو أحمد التنبكتي (ت963ه/1036م)، وأشارت كل المصادر السابقة وتتفق بنسبه إلى مدينة زليتن, وأضاف ناصر الدين محمد نشأته، وولادته في زليتن[96], ويؤكد نسبه إلى زليتن الدكتور جمعة الزريقي, ونقل عن الدكتور أحمد الخليفي نسبته ونشأته في زليتن[97], وهذا ما يتضح لنا بعد البحث في تاريخ المدينة ،والنهضة العلمية بها في أوائل القرن الثامن هجري الرابع عشر الميلادي, وأما لفظة زليطن محرفة عن كلمة بربرية(يضليتن)، وكتبت أيضاً بالتاء بدل الطاء، وكما كتبت مرات عدة(يوزليتن) ،وهذاممما يدل على إنها محرفة عن

85 يوسف بن علي الجعراني المسلاتي، أمام في علوم القرآن له مؤلفات منها: شرح القرطبية، شرح الأجرومية، (ت820ه/1417م)،(المنهل العذب، أحمد بيك الأنصاري،(142)

86 وجدنا ترجمة باسم الشيخ عبد الواحد الدوكالي الذي درس عليه الشيخ عبد السلام الأسمر وقد يكون ابناً له، (تنقيح روضة الأزهار، البرموني، 91).

87 ليبيا أثناء العهد الموحدي والدولة الحفصية، صالح السباني، 561.

88 إمام المغرب وشيخ الإسلام محمد بن عرفة الورغمي التونسي، من مؤلفاته المبسوط في الفقه، ونظم قراءة يعقوب، (ت803 ه/ 1400م)،(شجرة النور، محمد مخلوف،1 /1327)

89 المنهل العذب، أحمد بيك الأنصاري، 189، وله ترجمة في الجواهر الإكليلية، ناصر الدين الشريف، 122.

90 نفس المرجع، 124.

91 ليبيا أثناء العهد الموحدي والدولة الحفصية، صالح السباني، 546.

92 المنهل العذب، أحمد بيك الأنصاري، 141.

93 شجرة النور، محمد مخلوف، 373/1.

94 كفاية المحتاج،أحمدالتنبكتي؛ 123/1؛ نيل الابتهاج،أحمد التنبكتي، 127.

95 الجواهر الإكليلية، ناصر الدين الشريف، 127.

96 نفس المرجع، 127.

97 تراجم ليبية، جمعة الزريقي، 23/1.

كلمة(يضليتن), وكثيراً ما يحرف العرب الكلام الدخيل للتخفيف[98], وقد وردت لفظة يزليتن في مصادر تتحدث عن تاريخ المنطقة[99].

أولاً-نسبه

اتفق كل من ترجم للقاضي أحمد الزليتني ،أو الزليطني، أو اليزليتني على أنه أحمد بن عبد الرحمن بن موسى القروي أبوعباس الملقب ب(حلولو) الوامح، المولود في عام (815ه/1410م) المتوفي عام (896ه/1491م) المؤكدة حياته عام (875ه/1470م)، ويذكر الدكتور جمعة الزريقي أن لقب الوامح متداول في مدينة زليتن[100].

ثانياً- شيوخه وزملاؤه وتلاميذه

1) شيوخه:

أ- أبو حفص القلشاني عمر بن الشيخ محمد القلشاني التونسي، أخذ عنه القاضي أحمد حلولو، والرصاع، وإبراهيم الأحضري، من مؤلفاته:كتاب شرح الطوالع(ت847ه/1442م).

ب- البرزلي أبو القاسم بن أحمد البرزلي البلوي القيرواني التونسي أخذ عنه القاضي أحمد حلولو والرصاع ،وابن ناجي من مؤلفاته:كتاب الحاوي في النوازل الفقهية، اختصره القاضي أحمد(ت841ه/1437م) [101].

ج- ابن ناجي أبو الفضل قاسم بن عيسى بن ناجي التنوخي القيرواني، تولى القضاء في جهات عديدة من إفريقيا، وأخذ عنه ابن عرفة، والبرزلي، وأبو القاسم الفسطيني، والقاضي أحمد حلولو، من مؤلفاته:كتاب شرح الصغير والكبير(ت838ه/1434م)[102].

د- قاسم العقباني أبو الفضل قاسم بن سعيد العقباني، أحد الجهابذة المعمرين ملحق الأحفاد بالأجداد، أخذ عنه القلصادي والرصاع ومن مؤلفاته:-كتاب تعليقه على ابن الحاجب الفرعي(ت854ه/1450م)[103].

2) زملاؤه :

أ- محمد بن القاسم الرصاع يكنى أبو عبد الله، لم يغادر تونس إلى أن توفي بها(894ه/1489م)، تولى قضاء المحلة والتدريس بزاوية باب البحر وولي قضاء الأنكحة ،والإمامة، والخطابة بجامع الزيتونة عام(886ه/1482م)، من مؤلفاته: كتاب شرح حدود بن عرفة[104].

ب- أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الأحضري التونسي(ت879ه/1474م)[105].

3) تلاميذه

ج- أحمد بن حاتم السطي ولد في عام(851ه/1448م) وقرأ عليه بطرابلس الغرب، وأخذ بتونس عنه إبراهيم الأحضري[106].

د- أحمد بن أحمد بن محمد بن عيسى البرنسي الفقيه المحدث الصوفي المشهور(بالزروق)، ولد عام (846ه/1443م) من مؤلفاته:كتاب شرح الرسالة، وشرح مواضع خليل(ت899ه/1496م)[107].

ه- علي بن محمد بن علي القلصادي البسطي القرشي العالم العامل المؤلف الرحال المعتني بلقاء الرجال خاتمه علماء الأندلس وحفاظه(ت 891ه/1489م).

98 معجم البلدان الليبية، الطاهر الزاوي، 170.

99 التذكار، ابن غلبون، ؛ المنهل العذب، أحمد بيك الأنصاري، 278.

100 شجرة النور، محمد مخلوف، 373/1؛ نيل الابتهاج، أحمد التنبكتي ، 127 ؛كفاية المحتاج، أحمد التنبكتي ،123/1 ؛ المنهل العذب، أحمد بيك الأنصاري، 141؛ الجواهر الإكليلية، ناصر شمس الدين، 127؛ تراجم ليبية، جمعة الزريقي، 24/1 ؛ تراجم المؤلفين التونسيين، محمد محفوظ، 358/2.

101 شجرة النور، محمد مخلوف، 352/1إلى354.

102 شجرة النور، محمد مخلوف، 352/1.

103 نفس المرجع، 368/1.

104 تراجم المؤلفين التونسيين، محمد محفوظ، 359/1.

105 شجرة النور، محمد مخلوف، 374/1.

106 نيل الابتهاج، أحمد التنبكتي، 154، كفاية المحتاج، أحمد التنبكتي،128/1.

107 نفس المرجع، 127/1.

و- عبد الجبار أحمد الفجيجي التقى القاضي أحمد في طرابلس وسأله سبع أسئلة أجابه عنها كتابةً، وأجاز له رواية جمع الجوامع للسبكي(ت 938ه/1535م)[108].

ومن هؤلاء التلاميذ من أخذ عنه بالبلاد الليبية(طرابلس) ،ومنهم من أخذ بتونس على سبيل المثال: القلصادي له كتاب (رحلة القلصادي)، ذكر شيوخه في البلدان التي مر بها من الأندلس إلى الحجاز، ولم يذكر أنه أخذ عن القاضي أحمد حلولو لا في طرابلس التي أقام فيها أربعة عشر يوماً ،ولا تونس التي أقام بها مدة ثلاث سنوات ولم يذكر من أخذ عنهم خلال إيابه من تلك الرحلة إلى البلاد التي مر بها تونس وليبيا إلا أنه ذكر شيوخه خلال عودته بالبلاد المصرية، مع العلم أنه خرج من طرابلس بحراً إلى الاسكندرية في عام(851ه/1448م) ،وقد عاد من الأندلس بعد ما حل بها إلى تونس إلى أن توفي بها في عام(891ه/1485م).

أما تلميذه أحمد بن حاتم المولود في عام(851ه/1448م) قد أخذ عنه العلم بطرابلس الغرب[109]، وأخذ عن إبراهيم الأحضري في تونس وإبراهيم الأحضري كما سبق(ت879ه/1474م)، وهذا يعطينا معلومة أن أحمد بن حاتم السطي درس على القاضي أحمد حلولو أثناء توليه القضاء في طرابلس ليبيا، وانتقل إلى تونس، ودرس على إبراهيم الأحضري زميل القاضي أحمد في تونس أثناء توليه مشيخة مدرسة نييل أبي قطابة بتونس، وأنشئت هذه المدرسة عام (851ه/1448م) وتولى مشيختها إبراهيم الأحضري والقاضي أحمد حلولو[110] وإبراهيم الأحضري،و لم تذكر المصادر عزله عن المدرسة بل ذكرت وفاته في عام(879ه/1474م)، وهذا دليل على رجوع القاضي أحمد إلى تونس بهذا الوقت.

وكذلك الشيخ أحمد الزروق تذكر المصادر أنه، ولد في عام (846ه/1443م) ،واشتغل بالعلم، وعمره ستة عشر عاماً ،ويقال أنه قد تتلمذ على القاضي أحمد حلولو بطرابلس، وهو الأقرب إلى الظن الصحيح.

ثالثاً- وظائفه

أشارت كل التراجم التي تناولت حياة القاضي أحمد أنه تولى القضاء ثم عزل عنه[111].

وذكرت مصادر التراجم التي ترجمت لمشايخ القاضي أحمد، أنهم تولوا القضاء بتونس[112]، ويبدو لنا أن القضاء كان من الوظائف الصعبة التي لا يتولاها إلا كبار العلماء، ويبدو لنا أن الدولة الحفصية في كل أقاليمها أختارت القضاة من علماء المالكية.

واضطلع اتباع المالكية بإحياء مذهبهم من جديد بإفريقيا فأحرزوا نجاحاً كبيراً فكان مجال التدريس والإمامة ،والقضاء من يتولاه ذلك علماء المالكية[113] ،ولهذا تحليل للدكتور الدولاتي ،يؤيد به ما سبق.

وكذلك المدارس لو رجعت لكتب التراجم السابقة التي ترجمت لمشايخ القاضي أحمد حلولو لوجدتهم جميعاً تولوا وظيفة القاضي بعد مشيخة المدارس التعليمية، وكما ذكرنا في السابق أن الشيخ إبراهيم الأحضري زميل القاضي أحمد حلولو في الدراسة، وأخذ عن المشايخ وتولى مشيخة مدرسة نييل أبي قطاية ،وتولاها بعده القاضي أحمد حلولو عندما عزل عن قضاء طرابلس.

المطلب الثالث

نشاطاته العلمية

(توطئة)الإثراء العلمي لمؤلفاته

تدل كثرة التأليف والبحث بطرقه العديدة من شرح ‘أو اختصار’ أو جمع على سعة اطلاع ،وإحاطة سواءً كان ذلك في علم واحد ،أو عدة فنون، وهذا حال القاضي أحمد حلولو.

قال عنه السخاوي: **"**هو أحد الحافظين لفروع المذهب ،وغيره في التحقيق أمكن**"**[114].

108 هذه الترجمة نقلاً عن الدكتور جمعة الزريقي في عمله تراجم ليبية،1 /29.

109 نيل الابتهاج، أحمد التنبكتي، 134.

110 جامع الزيتونة، الطاهر المعموري، 91.

111 شجرة النور، محمد مخلوف، 373/1؛ نيل الابتهاج، أحمد التنبكتي، 127 ؛كفاية المحتاج، أحمد التنبكتي، 1/؛123 ؛المنهل العذب، أحمد بيك الأنصاري، 141.

112 ينظر ترجمة المشايخ فيما سبق.

113 مدينة تونس، عبد العزيز الدولاتي، 79.

وكان له شرح على جمع الجوامع لتاج الدين السبكي، وهو من علماء المذهب الشافعي، بل من كبار علماء عصره(ت771ه/ 1361م)، واسمه عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي[115] لأهمية هذا الكتاب طبع قديماً طبعة حجرية بفاس في عام (1326ه/1908م)، ووضع عليه هامش(نشر البنود في مراقي الصعود) لعبدالله إبراهيم العلوي، وهو شرح مفيد يبين فيه أقوال المالكية، وعضدها بفروع فقهية[116] وقد شرحه مختصراً باسم (شرح جمع الجوامع الصغير) ومطولاً باسم (شرح جمع الجوامع الكبير)[117].

وكذلك كتابه المسمى(التوضيح في شرح التنقيح)، الذي يشرح فيه كتاب الإمام أحمد بن إدريس القرافي(ت684ه/1285م) ،وقدوصفه القرافي بأنه وحيد دهره وفريد عصره، المؤلف، المتفنن، وشهد لمؤلفاته بالبراعة والفضل[118]، وما يدل على نبوغ القاضي أحمد شرحه لكتب هؤلاء العلماء.

- شرح مختصر خليل مختصراً ومطولاً؛ أما المطول فيسمى(البيان والتكميل في شرح مختصر خليل)[119]، والمختصر منه صغير في سفرين كما قال عنه محمد محفوظ[120] ومن المعلوم أن شرح مختصر خليل وعضده بالأدلة عمل يحذوه كبار علماء المالكية إلى يومنا هذا.
- (شرح عقيدة الرسالة) من المعلوم عند إطلاق لفظ الرسالة عند دراسة الفقه المالكي، أو أحد علماء المذهب المالكي يكون المقصود هي رسالة ابن أبي زيد القيرواني(ت 386ه/966م) وهي مشهورة، وفي عقيدة الرسالة فوائد كثيرة لا تنقضي ولا تنحصر وما تزال محل دراسة إلى يومنا هذا؛ فالشيخ الحبيب بن طاهر له كتاب يسمى (عقيدة بن أبي زيد القيرواني) من خلال (كتابه الرسالة)[121].
- المسائل المختصرة من كتاب البرزلي وقد سبق الكلام عن الإمام البرزلي وعلمه وسمي هذا الكتاب مسائل حلولو في الفقه والأحكام.

أولاً- مؤلفاته المطبوعة

1. شرح جمع الجوامع، طبع بفاس على الحجر في عام(1326ه/1908م)[122]، وقد تم تحقيقه على يد الدكتور عبد الكريم بن علي النملة[123] وهو الصغير من جمع الجوامع.
2. التوضيح في شرح التنقيح، قام بتحقيقه الأستاذ بلقاسم بن ذاكر ونال به درجة الماجستير بجامعة أم القرى.
3. المسائل المختصرة من كتاب البرزلي[124]، وحقق الدكتور أحمد الخليفي جزءً هاماً منه وهو المتعلق بالعبادات ومسائل الأحوال الشخصية[125].

ثانياً-المخطوطات

1. شرح على إشارات الباجي في أصول الفقه.
2. شرح عقيدة الرسالة[126].
3. شرح مختصر خليل المسمى(البيان والتكميل في شرح مختصر خليل)[127].

---

114 الضوء اللامع، السخاوي، 260/2إلى261.

115 طبقات الشافعية، ابن القاضي شهبة، 140/3.

116 تراجم المؤلفين التونسيين، محمد محفوظ، 165/2.

117 توشيح الديباج، بدر الدين بن يحي، 52.

118 شجرة النور، محمد مخلوف، 270/1.

119 نحن بصدد تحقيقه.

120 تراجم المؤلفين التونسيين، محمد محفوظ، 166/2.

121 نشر مؤسسة المعارف، عام 2008.

122 تراجم المؤلفين التونسيين، محمد محفوظ، 162/1.

123 منشورات مكتبة الرياض، عام(1420ه/ 1999م).

124 جامعة أم القرى-المملكة السعودية، عام (1425ه/ 2004م).

125 منشورات دار المدار الاسلامي (2002م)

126 لم أعثر لهما على أي أثر في خزانات المخطوطات، ولم أقف لها على طباعة.

127 نحن بصدد تحقيقه.

4. شرح مختصر خليل الصغير، ذكر السخاوي أنه متداول في مصر[128].

ثالثاً-دوره في نشر المذهب

ظل المذهب الأشعري سائداً في بلاد المغرب في عهد الحفصيين؛ فلقد اعتمدت الدولة الحفصية في المجال العقائدي على التأويل كما يذهب إليه الأشاعرة[129]، وهذا واضح من خلال قيام القاضي أحمد بشرح عقيدة الرسالة لابن أبي زيد القيرواني، وكما سبق فإن أتباع المالكية قاموا بنشر مذهبهم بكل نشاط ومثابرة.

ونحدد دور القاضي أحمد حلولو في نشر المذهب ،وكما سبق أنه خرج من مدينة زليتن التي لم يعرف أهلها في فترة خروجه إلى تونس إلا مذهب مالك، ومكث في تونس يدرس المذهب إلى أن تولى قضاء طرابلس، وأخذ عنه المذهب بطرابلس أيضاً كما سبق، وعاد لتونس وتولى مشيخة مدرسة في بلاد لا مذهبً سائداً لها إلا مذهب الإمام مالك.

إضافة إلى مؤلفاته التي كانت أصولية، أو فقهية، أو عقائدية، لا تحتوي إلا عقيدة الأشاعرة، وأقوال علماء المالكية[130].

المطلب الرابع

الختامي

أولا-هجرات علماء الأندلس وتأثيرها على الإقليم

إن الهجرات الأندلسية لم يكن لها تأثير مباشر على مدينة؛ زليتن لأسباب معلومة منها أن الأندلسيين يفضلون العواصم الحضارية، ويفضلون الأماكن التي سبقهم إليها جالية منهم[131].

ومن المعلوم أيضاً أن الأندلسيين الذين استقروا في بلاد المغرب العربي قدعززوا مذهب الإمام مالك وإن كان وجد قبلهم بسنين طويلة، وقد تم نشر المذهب المالكي بشكل أوسع مما كان عليه[132].

فمثلاً في إقليم طرابلس ولد الشيخ محمد الخطاب الرعيني الأندلسي سليل أسرة أندلسية، عرفت بالعلم، وأخذ العلم منذ الصغر، في إقليم طرابلس حتى أنه أخذ عن الشيخ أحمد الزروق أحد تلاميذ القاضي أحمد حلولو، وانتهت إليه رئاسة المذهب بالحجاز(ت945ه/1538م)[133].

وكذلك تتلمذ على القاضي أحمد حلولو علي بن محمد البسطى الأندلسي القرشي الشهير بالقلصادي الذي قدم من الأندلس وأخذ عن القاضي أحمد حلولو[134]، والمشهور عن القلصادي عند حلوله في أي بلد يكون فيها عالماً ومعلماً[135].

ومن أعمال الأندلسيين التي تهمنا هو دورهم في بناء الزوايا، والمعاهد الدينية كما تقول الدكتورة مريم بو خاوش " فقد شهدت بلاد المغرب الأوسط بحضور هؤلاء المتصوفة الأندلسيين أشكال عمرانية تمثلت في الزوايا ،ودور العلم وهذا ما زاد من تقدير السكان لهم"[136].

وهناك قولً يتردد كثيراً على أسماعنا من الباحثين،وهو إن زاوية الشيخ أحمد الباز من أعمال الجالية الأندلسية وإن الشيخ أحمد من عائلة أندلسية، ولكن لا ندري مدى صحة هذا القول لأننا لم نقف من المصادر على ما يؤيد ذلك.

ثانياً- الانفتاح العلمي بين أقاليم الدولة الحفصية:

تمثل الانفتاح العلمي ،أو ما يطلق عليه حركة التنقل، أو مبادلة الفكرية وإدارية في الشمال الإفريقي في تنقل القاضي، والعالم، والمدرس من بلد إلى بلد، وهكذا وجد في تلك الفترة نقل العلماء، والفقهاء ما بين طرابلس وتونس كما حصل للقاضي أحمد حلولو كما ذكرنا سابقاً، ومن نماذج ذلك التبادل أيضاً الفقيه ابن عمران الهواري، ليكون قاضياً لتونس بعد أن مكث في قضاء طرابلس ثلاثين عاماً[137](ت758ه/1356م).

128 الضوء اللامع، السخاوي، 262/2.

129 فصول في الفكر الإسلامي بالمغرب، عبد المجيد النجار، 39.

130 استنتاج من خلال الدراسة.

131 تطور الرياضيات، العنابي، 103.

132 آثار سقوط الأندلس، مريم بوخاوش، 363.

133 شجرة النور، محمد مخلوف، 389/1.

134 كما سبق التحليل ويقبل التصحيح.

135 شجرة النور، محمد مخلوف، 377/1.

136 آثار سقوط الأندلس، مريم بوخاوش، 417.

137 أعلام طرابلس، علي المصراتي، 92.

كذلك من أبناء زليتن الذين ارتحلوا لتونس وقرؤوا بها وهما الشيخ أبو عبدالله محمد بن أحمد الزليتني[138](ت808ه/1321م)، ومعه الشيخ أبو عبدالله محمد بن فندار وأخذ عن بن عرفة محمد بن محمد بن حماد الورغمي(ت803ه/1401م)[139].

أما محمد بن فندار فقد عرف به صاحب شجرة النور(أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عيسى بن فندار القيرواني، نسب إلى القيروان مقر سكنه)[140].

وكذلك الشيخ أحمد الزروق قد درس بتونس على محمد بن قاسم الرصاع[141] وقد سبق التعريف بهما.

ومما سبق فإن مدينة زليتن عرفت بالعلم منذ أوائل القرن الثامن الهجري، الثلاث عشر الميلادي إلا أن هجرات الأندلس والانفتاح العلمي لأقاليم الدولة الحفصية كان تأثيره غير مباشر على مدينة زليتن.

الخاتمة

وبعد النهاية من سرد الوقائع التاريخة، وإستقراها ؛ وتحليل مايحتاج إلى تحليل تم الوصول إلى بعض النتائج، ومجموعة من التوصيات .

أولا- النتائج :

1- إن مدينة زليتن كان له وجود في القرن السادس الهجري؛ الثاني عشر الميلادي ،وليس كما تحدث بعض المؤرخين عن نموها في بداية العهد الحفصي،أوفي أوائل القرن السادس عشر الميلادي.

2- رغم بعض الاضطرابات في الأوضاع السياسية في تلك الحقبة ، إلا أنها لم تؤثر على الحركة العلمية. خصوصا في إقليم طرابلس.

3- مع الرخاء الاقتصادي في مدينة زليتن ،ومجاورها ،وظهور طرق وأنماط متعددة للتعليم منها :التعليم في حلقات المنزلية ،والزوايا،والمساجد ،وعدم دلالة الوقائع التاريخية عن حياة القاضي أحمد حلولو،فلا نستبعد ؛إنه نهل دروسه الأولى بمدينة زليتن.

4- كانت الدروس الأولية يتلقها العلماء داخل البلاد الليبية،وثم تكون الوجهة الى جهات لها باع في التعليم المتقدم؛ كمدينة طرابلس ، والدولة التونسية ، والبرهان على ذلك العلماء السابقين للقاضي أحمد حلولو وتم التعريج عليهم في هذا البحث.

5- من خلال مولفاته في الفقة ،وأصوله ،وكتبه المفقود في علم العقيدة ،ووظائفه تتضح لنا المكانة العلمية للقاضي أحمد حلولو.

6- بالنسبه للهجرات الاندلسية لم يكن لها التأثير المباشر على المدينة ،إلا ما تواتر من نقول لم نقف له على مصدر؛ ببناء الزوايا ،وبعض المشائخ الأندلسيين تتلمذ عليهم بعض مشائخ الآقليم (طرابلس)

ثانيا - التوصيات:

1- تخصيص دراسة تاريخية شمولية لمدينة زليتن ،وأطوار الحياة بها على الأقل من القرن الرابع الهجري القرن الحادي عشر الميلادي ،لانها بعون الله تكشف تفاصيل أدق عن الحياة العلمية.

2- بعض علماء مدينة زليتن ؛السابقة حياتهم للحياة القاضي أحمد حلولو يجب تخصيص دراسة شمولية لهم ،والبحث عن آثارهم العلمية، وقد تم التعريج على إثنين منهم في هذا البحث.

3 - البحث عن مولفات القاضي أحمدحلولو المفقودة أمر مهم، وكذلك تخصيص دراسة منهجه في مولفاته الأصولية .

المراجع

- آثار سقوط الأندلس على بلاد المغرب الأوسط، مريم خاوش، رسالة دكتوراه، الرصيد الوطني للأطروحات.
- أعلام طرابلس، علي مصطفى المصراتي، دار الجماهيرية مصراته –ليبيا، ط4، 1986م.
- الأعمال الكاملة لمؤتمر الإمام مالك، 1435ه-2013م.
- برقة قديماً وحديثاً، السنوسي الغزالي، منشورات دار الكتاب الليبي، ط1، 1393ه-1973م.
- تاريخ إفريقيا في العهد الحفصي، روبار برنشيفك، تعريب حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، ط1.
- تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية، محمد الزركشي، تحقيق: محمد ماضور، منشورات المكتبة العتيقة.

138 لم أقف له على ترجمة.

139 تراجم المؤلفين التونسيين، محمد محفوظ، 363/3.

140 شجرة النور، محمد مخلوف، 374/1.

141 مجالس الأنس، محمد عزور، 172.

- تاريخ المغرب في سبعة قرون، محمد الهادي العامري، الشركة التونسية، 1974م.
- تاريخ ليبيا الإسلامي، عبد اللطيف البرغوثي، منشورات دار صادر بيروت-لبنان، 1973م.
- تاريخ ليبيا إلى القرن التاسع الهجري، إحسان عباس، منشورات دار ليبيا-بنغازي، ط1، 1387ه-1917م.
- التذكار فيمن ملك طرابلس وما كان بها من الأخيار، محمد بن خليل بن غلبون، تحقيق: طاهر الزاوي، دار المدار الإسلامي.
- تراجم المؤلفين التونسيين، محمد محفوظ، دار الغرب الإسلامي بيروت-لبنان، ط1، 1982م.
- تراجم ليبية، جمعة محمود الزريقي، دار المدار الإسلامي، ط1، 2005م.
- تطور الرياضيات عند العرب وآثار نابغة الجبر القلصادي في ذلك، دراسة ألقيت بملتقى القلصادي الأول، منشورات وزارة الثقافة التونسية.
- تنقيح روضة الأزهار ومنية السادة الأبرار، كريم الدين البرموني، تهذيب: محمد بن محمد بن مخلوف، المكتبة الثقافية بيروت-لبنان.
- توشيح الديباج وحلية الابتهاج، بدر الدين محمد بن يحيى عمر القرافي، تحقيق: علي عمر، منشورات الثقافة الدينية، 1425ه-2004م.
- جامع الزيتونة ومدارس العلم في العهد الحفصي والتركي، الطاهر المعموري، الدار العربية للكتاب، 1980م.
- الجواهر الإكليلية في أعيان علماء ليبيا من المالكية، ناصر الدين محمد الشريف، دار البيارق-الأردن، ط1، 1999م.
- حكاية مدينة طرابلس لدى الرحالة، خليفة محمد التليسي، منشورات الدار العربية للكتاب، 1985م.
- رحلة القلصادي، أبو الحسن علي بن محمد القلصادي، تحقيق: محمد أبو الأجفان، دار ابن حزم بيروت-لبنان، ط1، 1432ه-2011م.
- الرحلة في الأدب المغربي، فاطمة خليل، رسالة دكتوراه منشورة لكلية الآداب جامعة محمد الخامس.
- الساحل الليبي، الهادي مصطفى أبو لقمة وسعد خليل القزيري، منشورات جامعة قاريونس، 1997م.
- سكان برقة، هنريكودي أوغسطي، ترجمة: ‘براهيم المهدوي، منشورات دار برنيتشي-بنغازي، ط2، 2019م.
- شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، محمد مخلوف، تحقيق عبد المجيد حيالي، منشورات دار الكتب العلمية، ط1، (1424ه-2003م).
- الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، شمس الدين السخاوي، دار الجيل بيروت-لبنان.
- طبقات الشافعية، أبوبكر بن محمد بن عمر بن شهبه، تحقيق: الحافظ خان، مجلس دائرة المعارف-الهند، ط1، 1399ه-1979م.
- طبقات علماء إفريقيا، محمد بن تميم، تحقيق: علي الشابي، نعيم الباقي، منشورات الدار التونسية للكتاب-الجزائر الوطنية للكتاب، ط2.
- فصول في الفكر الإسلامي بالمغرب، عبد المجيد النجار، دار المغرب الإسلامي بيروت-لبنان، 1981م.
- القضاء والقضاة في برقة وطرابلس، الصيد أبو ديب، منشورات المؤسسة للثقافة ط1، 2009م.
- كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج، أحمد بابا التنبكتي، تحقيق: محمد مطيع، وزارة الأوقاف العربية، 1421ه-2000م.
- ليبيا أثناء العهد الموحدي والدولة الحفصية، صالح الصادق السباني، منشورات مركز جهاد الليبيين، ط1، 2006م.
- مجالس الأنس، محمد عزوز، دار ابن حزم، ط1، 1432ه-2004م.
- مجلة المؤرخ العربي، العدد 19، عام 1981م.
- مدينة تونس، عبد العزيز الدولاتي، دار سراس- تونس، 1981م.
- مرقس الإنجيلي، ذواد حلاق، منشورات الهيئة العامة للسياحة- ليبيا، ط1993،1م.
- معجم البلدان الليبية، الطاهر أحمد الزاوي، منشورات مكتبة النور طرابلس-ليبيا، ط1، 1388ه-1968م.
- معجم البلدان، شهاب الدين ياقوت الحموي، منشورات دار صادر بيروت-لبنان،1397ه-1977م.
- المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب، أحمد بيك التائب الأنصاري، دار الفرجاني طرابلس-ليبيا، ط1، 2015م.
- نزهة المشتاق في اختراق الأفاق، الشريف محمد الإدريسي، المعهد المشرقي-نابولي،1974م.
- النشاط العقائدي في الغرب الإسلامي خلال القرنين العاشر والحادي عشر الهجري، جمعة مصطفى الفيتوري، دار المدار الإسلامي.

- نفحات النسرين والريحان فيمن كان في طرابلس من الأعيان، أحمد بن الحسين التائب الأنصاري، تقديم: محمد زينهم، منشورات دار الفرجاني طرابلس-ليبيا.
- نيل الابتهاج بتقرير الديباج، أحمد بابا التنبكتي، تحقيق: عبد الكريم عبد الله الهرامة، منشورات دار الكتاب، ط2، 2000م.
- وصف إفريقيا، حسن الوزاني الفاسي، ترجمة محمد حجي ومحمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي بيروت- لبنان، ط2، 1983م

Judge of Tripoli Ahmed Al-Qarawi Halolo Al-Zalitani (d. 898 AH / 1493 AD) : His Life and Scientific Works

Saddam Hussein Abdul Raziq Younis

Center for Islamic Research and Studies, Al-Bayda

Abstract:

This research investigates the life of a great scholar from Zliten city which is located in the west of Libya, the Judge Ahmed Abd al-Rahman Halulu al-Zlitni al-Wameh (897 H -1491 AD), where he grew up and had his first education as the historical facts have proven through this research, which accepts correction with undisputable evidence if any. The research attempts to uncover the various aspects of life (economically, politically, and scientifically) in Judge Ahmed's time. It identifies his origins and the validity of his lineage to the city of Zliten and its role during the era of the Hafsi state and the rise of Judge Ahmed Halulu during it with reference to other scholars of his time in the city of Zliten according to the available historical resources. The study also dealt with his printed works, existing and lost manuscripts, and his sheikhs, colleagues and students. The final section of the study focused on the impact of the Andalusian migrations on the city of Zliten. As for the methodology used in marginalization: the name of the reference, the name of the author, the page or the part, and the page. At the bottom of the page, you find the margins in sequence.

Keywords: Hlaolo, Zliten, Scholarly life, Hafsi State